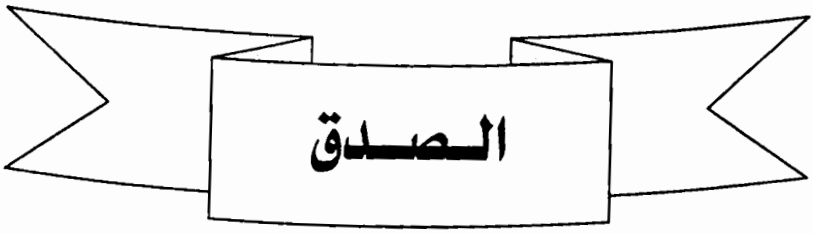

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾

[الأحزاب: ٢٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

إن مما يصد كثيرًا من الناس عن سماع الهدى واتباع الخير كثرة ما يؤمر به من الأوامر والنواهي، فيشتت عقله، وتتشعب به السبل، فلا يدري أي سبيل يسلك؟ ولا أي طريق يرتاد؟

فقد يذهب إنسان يرغب في الهداية إلى أحد الدعاة أو الواعظين يسأله عما ينبغي أن يفعل ليتقرب إلى الله، ويسلك سبيل المهتدين، فلعله يقع في يد داع لم يؤت حكمة الدعوة فيكثر عليه من تعاليم الإسلام وأوامره، فيضيق بذلك ذرعًا، ويرى أن الأمر ثقيل وشاق، فيدع الأمر جملة، ويرجع إلى ما كان فيه من الضلالة.

ولذا؛ فإني أخي الحبيب وأختي الحبيبة لن أثقل عليك في هذه الرسالة بكثير من الأوامر ولا كثير من المواعظ، ولن أدعوك إلا إلى خصلة واحدة فقط من خصال الخير، ومن الأخلاق الحبيبة التي أضمن لك بها الجنة، ولست بضامن ولا كفيل على الله سبحانه، ولكن رسول الله ﷺ هو الذي ضمن ذلك لكل من تحلى بهذه الخصلة من المسلمين، وأنا ضامن لك ذلك بضمان رسول الله ﷺ الذي لا

يكذب ولا يقول إلا الحق: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١] وهذا الخلق الذي ضمن رسول الله ﷺ لصاحبه الجنة هو خُلق الصدق.

وليس عجبًا أن يتصف المسلم بصفة واحدة فتكون سببًا في دخوله الجنة، وذلك أن تعاليم الإسلام كلها إنما هي طرق للخير يوصل بعضها إلى بعض.

وأوسع هذه الطرق وأرحبها وأكثرها انفتاحًا على طرق الخير كلها هو سبيل الصدق.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[٢].

والحق أنني حينما تأملت هذا الحديث عرفت قيمة الصدق وأثره في هداية العبد، وعرفت معنى قول النبي ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر" فالبر هو الخير كله، فكلمة البر كلمة جامعة لكل أنواع الخير من التوحيد والصدق مع الله تعالى، والتصديق برسوله ﷺ وحسن عبادة الله تعالى، وحسن معاملة عباده والإحسان إليهم.

ووقفت أسأل نفسي كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى كل سبل الخير؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى التوحيد؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى اتباع النبي ﷺ؟

---

(١) النجم: ٣-٤.

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب" باب: قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ما ينهى عن الكذب (٦٠٩٤)، ومسلم في "البر والصلة" باب: قبح الكذب وحسن الصدق (٥/ ٤٦٦)- ط. الشعب.

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى الجود والكرم، وناهيًا عن البخل والشح؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى حفظ اللسان، وترك الغيبة والنميمة والكذب؟

كيف يكون الصدق هاديًا وداعيًا إلى فعل جميع الطاعات، وترك جميع المنكرات؟

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

تعاليا نتأمل معًا كيف يكون ذلك؟

***أعظم منازل الصدق:**

أخي الحبيب ... أختي الحبيبة ...

إن أول وأعظم منازل الصدق هو الصدق مع الله تعالى، فاعلم أيها المسلم، وأيتها المسلمة أن شهادة التوحيد لا تقبل من العبد بغير صدق مع الله تعالى فيها، وفيما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة من عبودية الله تعالى وعدم الإشراك به، وتعال نتأمل معنى كلمة التوحيد.

هذه الكلمة العظيمة: (لا إله إلا الله) تعني:أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، ومعنى ذلك أن هذه الكلمة عهد بينك وبين الله يقتضي شيئين:

الأول: عبادة الله تعالى.

الثاني: ألا تشرك به شيئًا.

وتأمل معي أخي المسلم وأختي المسلمة حال من قال هذه الكلمة، ولم ينو في قلبه عبادة الله تعالى والالتزام بشرعه وأوامره ونواهيه، هل يكون صادقًا مع الله

تعالى في هذا العهد الذي تضمنته هذه الكلمة؟

وإذا لم يكن صادقًا مع الله في ذلك، فهل ينفعه قوله: (لا إله إلا الله) بغير صدق فيها مع الله تعالى؟

إن هذه الكلمة لا تنفع صاحبها إلا بالصدق فيها مع الله تعالى، وهذا الصدق يقتضي أن يلتزم العبد بهذا العهد الذي قطعه على نفسه بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك به شيئًا، فيلتزم بكل ما أمر الله تعالى به، ويتجنب ما نهى الله تعالى عنه وأن يرضى بذلك كله وتقر به عينه، ويجاهد نفسه على الالتزام به ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن وطن قلبه على ذلك، فهو صادق مع الله تعالى، وإن حدث منه تقصير في الفعل لغفلة أو غلبة شهوة أو غير ذلك.

أما إن أعرض عن عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره بالكلية، وهو مع ذلك يقول: (لا إله إلا الله) فهو كاذب على الله تعالى فيها، وهو من المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

أما إذا صدق وأوفى بما عاهد عليه الله فهو من المؤمنين الصادقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَّرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[2].

وهؤلاء الصادقون مع الله تعالى هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ

---

(١) المنافقون:١.

(٢) آل عمران: ١٥-١٧.

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وإذا أردت أن تعرف جزاء الصادقين مع الله تعالى فاقرأ سيرة أصحاب النبي ﷺ وكيف صدقوا مع الله تعالى[2]، فأثنى عليهم بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3].

فمن صدق مع الله تعالى في شهادة: (لا إله إلا الله) صدق في الالتزام والوفاء بجميع ما أمره الله تعالى به.

* صدق النية والعزيمة والإرادة:

اعلم أخي الحبيب أن خير ما يعينك على الصدق مع الله تعالى والصدق مع الناس هو أن تكون صادقًا في نيتك وعزيمتك وإرادتك، فإذا نويت نية الخير وعزمت على الطاعة فلا تتردد، فإذا هداك الله تعالى فعزمت على الالتزام بالصلاة، أو عزمت أيتها المؤمنة على الالتزام بالحجاب فلا تتردد ولا ترددي ولا تؤخرا الأمر لغد، فإنما هي فرصة تسنح يشرح الله تعالى صدرك ساعة الفعل، فإذا لم تستجب فلا تأمن ولا تأمنين هل يشرح الله صدرك لهذا الفعل مرة أخرى، أم يطبع على قلبك فتكون من الغافلين؟

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي

---

(١) الأحزاب:٣٥.

(٢) اقرأ في ذلك من هذه الرسائل الصغيرة رسالتنا (رجال حول الرسول)،و (الصدق مع الله) واقرأ أيضًا كتابنا الكبير (رجال ونساء حول الرسول ﷺ) ط.مكتبة الدعوة.

(٣) الأحزاب:٢٣

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١].

فإذا نويت الخير وعزمت عليه فلا تتردد ولا تؤخر، وقديمًا قالوا:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

*** الصدق مع النفس مفتاح كل خير:**

اعلم أخي الحبيب وأختي الحبيبة أن مفتاح الخير كله هو الصدق مع النفس، ومعنى ذلك أن يواجه الإنسان نفسه بما هو عليه، ولا يكذب على نفسه ولا يخادعها، فإن كثيرًا من الناس يخادع نفسه ولا يواجهها بحقيقتها، وهذا عجب عجيب!

فقد يداري الإنسان عن غيره من الناس، وقد يظهر خلاف ما يبطن، وقد يدعي لنفسه ما ليس لها، ولكن هل يكذب المرء على نفسه؟

هل يخادع المرء نفسه؟

للأسف الشديد إن كثيرًا من الناس كذلك، وهذه هي الآفة الكبرى التي تحول دون صلاحهم وهدايتهم؛ وذلك لأنهم يفسدون في الأرض، ويقولون: إنما نحن مصلحون، ويقنعون أنفسهم بذلك، وينسون أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وهذه هي طبيعة المنافقين كما بينها الله تعالى في كتابه الكريم.

***واجه نفسك بنفسك:**

عليك أن تكون شجاعًا مع نفسك، صادقًا معها، لا تستحي منها فهي نفسك، واجهها بما تفعل.

إن كنت تسرق فلا تستحي أن تقول لنفسك: أنا لص! أنا سارق!

لا تكذب ولا تتجمل ولا تقل: إنما هي إكرامية، إنما هي عمولة، إنما هي

---

(١) الأنعام: ١١٠

أتعاب...إلخ.

*** واجه نفسك بالحقيقة:**

إذا كنت تهتك الأعراض، وتقع في الحرمات فواجه نفسك، وقل بينك وبين نفسك: أنا زان، أنا مغتاب، أنا شارب للخمر، أنا مرتش، أنا لاعب ميسر.

وقولي لنفسك أيتها المسلمة إن كنت كذلك: أنا سافرة، أنا خائنة...إلخ.

هذا هو السبيل للتوبة، لا سبيل غيره.

وهذه هي البداية، ولا بداية قبلها.

هذا هو الدواء.

حقًّا إن طعمه مرّ علقم، ولكن شفاءه أكيد سريع.

*** الصدق يهدي إلى البر:**

تساءلت في أول الرسالة كيف يهدي الصدق إلى البر؟ كيف يهدي إلى جميع خصال الخير؟ ولعله قد اتضح لنا بعض الجواب مما سبق بيانه في الصدق مع الله، الذي يقتضي الالتزام بجميع أمور الدين.

وصدق العزيمة الذي يقتضي عدم التردد في الطاعة، والصدق مع النفس الذي يقتضي إصلاح جميع عيوبها، وهتك جميع أسرارها أمام النفس اللوامة.

وهناك أمثلة عملية غير ذلك كلها نضربها لنبين مصداق حديث النبي ﷺ أن الصدق يهدي إلى البر وإلى الخير كله وإلى الجنة.

مثال: الصدق يهدي إلى الجود والكرم وينهى عن البخل والشح.

إذا جاءك صديق يسألك قرضًا لضائقة ألمت به، فإن كنت تلتزم الصدق فلن تستطيع أن تمنع عنه ما معك من الخير لأنك قد التزمت الصدق مع الله والصدق مع الناس، فيكون الصدق بذلك داعيًا لك إلى الكرم ناهيًا لك عن البخل.

مثال: الصدق يهدي إلى حفظ اللسان وترك الغيبة والنميمة والكذب، فأنت إذا التزمت الصدق تركت ما يخالف ذلك كله، وأدّى بك ذلك إلى حفظ لسانك من الغيبة والنميمة والكذب والفحش وغير ذلك.

ومثال ذلك: أنك إذا أردت اغتياب شخص ما وكنت تلتزم الصدق؛ فإنك تخشى أن تسأل عما قلت فلا تستطيع أن تواجه الشخص الذي اغتبته وتصدق معه وتقول له: لقد قلت في حقك كذا وكذا، ولذا فأنت تحفظ لسانك فلا تقع في الغيبة أو النميمة أو الكذب أو الفحش أو غير ذلك.

وهكذا نجد أن الالتزام بهذه الخصلة وحدها خصلة الصدق كفيل بأن يورثنا الالتزام بجميع الطاعات ويجنبنا الوقوع في جميع الزلات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى طاعته وأن يجنبنا معصيته.